صدى الحرية

*أسبوعية *ثورية *اجتماعية
* توعوية * منوعة *

للتواصل وإرسال المشاركات:
Facebook / SadaALhoryeh ** freequd@gmail.com

فريق QMT قدسيا الإعلامي

جوبر الحي الصامد.

بعد الحريري والسادات.

الحسم في دمشق

عن جد «وينن»

كوكبة الشهداء

محاولة تلمس نقطة

أحرار الشّام

صدى الحرية

العدد 77
الجمعة 12
أيلول 2014

الحسم في دمشق

استطاع الثوار خلال الأسابيع القليلة الماضية استعادة زمام المبادرة بقوة، والضربةُ بدت مفاجأةً للنظام السوري الذي انهكته الحرب رغم الدعم العسكري الإيراني والمليشيوي الطائفي القادم من هنا وهناك، إضافةً لمحاولة الغرب ودول الخليج تشتيت أنظار الثوار باتجاه تنامي قوة تنظيم الدولة، التي تجمع معظم الدول الكبرى لتوجيه ضربةٍ لها، فيما كانت عاجزةً عن ردع النظام السوري، بالمقابل تظهر رغبةٌ تسبق أي ضربةٍ جوية لتنظيم الدولة بافتعال الفتن لخلق حالة من الإرباك وزعزعة صفوف المجاهدين، وهذا يبدو جلياً من خلال ما حدث قبل أيام إبان استشهاد عدد من قادة " أحرار الشام "، وكثرة الأصابع المتجهة بالاتهام لتنظيم الدولة، في خطوةٍ هي الأولى بدلاً من توجيها نحو النظام، ومن المؤكد أن المجتمع الغربي ودول الخليج لها مصلحة مشتركة في ضرب أي قوة تنادي بالخلافة، أو حتى بنشوء تيار إسلامي يؤسس لها مستقبلاً، في وقتٍ تبدو الكفة الراجحة في العاصمة دمشق وعلى مشارفها لصالح الثوار، ولعل امتداد جبهات القتال على طول المساحة المتاخمة للعاصمة دمشق والانتصارات التي تحققت لا سيما في القنيطرة، وربط هذه المعارك بالغوطة الغربية والقدرة الجيدة على التنقل بين المنطقتين، وما صحبه من هزائم لقوات النظام و" حالش" في القلمون، رفع من الروح القتالية والرغبة القوية بالحسم وأربك النظام، لتعود "معركة دمشق " إلى الواجهة من جديد، مع تغيرٍ في المعادلة، فقد أصبح الثوار أكثر تمرساً، وخبرةً من الأعوام الماضية، إضافةً إلى أن المعطيات تبدلت بنوعية الجرائم التي ارتكبها الأسد في الغوطة الشرقية، خصوصاً استخدامه للسلاح الكيماوي.

قبل عامين لم تكن قيادةُ الجيش الحر متحكمةً بزمام الأمور آنذاك، فدخل الثوار على عجلٍ ونفذوا عملياتٍ في قلب العاصمة دمشق، ومن ثم انسحبوا بعدما بدأت مدفعية النظام قصفها أعرق الأحياء الدمشقية ضاربةً بعرض الحائط أي اعتبار لمكانة دمشق .كما أن الثوار حرصوا وقتها على عدم أذية المباني العريقة وإلحاق الضرر بالمدنيين، واحترموا قدسية عاصمتهم، أما اليوم وأمام حمام الدم الذي ارتكبه النظام في الغوطة تحديداً، ذاب مفهوم الحرص الشديد على العاصمة أمام نية الخلاص من هذا النظام الذي فاق اجرامه كل الحدود.

صمود المليحة ومن ثم خسارتها وهي القريبة كيلو مترات من حي الميدان الدمشقي، لم يغير من عزيمة الثوار بل دفعهم لاستراتيجيةٍ جديدة وهم اليوم في قلب " الدخانية، والدويلعة" وعلى مقربة من "جرمانا" تلك المناطق الموالية شهدت نزوحاً من الأهالي على الرغم من تطمينات النظام لهم.

بينما جبهة " جوبر" البعيدة خطواتٍ معدودةٍ من ساحة العباسيين، والجسر لقلب الغوطة الشرقية، ما تزال تشكل تهديداً قوياً للنظام، وبدورها تتعرض لهجمة شرسة ووحشية، وتبدي بالمقابل أعمالاً قتالية بطولية، لكن ماذا لو لم تتمكن من الصمود لا قدر الله؟ إن ذلك لا يعني الدفع باللائمة على ثوارها فقد قدموا فيما عجزت بعض الجبهات عن المساعدة أو تلكأت أخرى، وذلك ليس نهاية المطاف فالمعركة ما تزال مستمرة، والعمل الثوري في نشاطٍ لا يتوقف، ينحسر حيناً وينهض حيناً آخر، معتمداً على الله وقدرته الذاتية في تطوير مهاراته ومستوى مقاتليه.

أمام هذه المعطيات يتدافعُ سؤالٌ عريض إلى الواجهة، هل اقترب موعد معركة دمشق الكبرى؟ وهل سيكون استكمال اندماج جميع الألوية والكتائب في الجبهة الإسلامية بقيادة زهران علوش كفيلاً بإعلان المعركة الحاسمة؟

أما على المستوى المحلي للمدينة فالأمور تسير بشكلٍ جيد ولله الحمد، وحركة السوق بالمستوى المقبول، مع استمرار انقطاع التيار الكهربائي الجائر عن البلدة ولساعاتٍ تصل إلى 12 ساعة تقريباً في بعض أحيائها، كذلك الحال بالنسبة للمياه.

وبعد يومين يبدأ العام الدراسي الجديد، وطلابنا مطالبون بمزيد من الجد والاجتهاد فهذا أوان العلم والمعرفة الذي لا يقل أهميةً عن الجهاد في ساحات القتال فهو جزء من الثورة والجهاد في سبيل الله.

كوكبة الشهداء القادة
أبو عبد الله الحموي ورفاق الدرب الثوري

نبيل شبيب

بعد خروجه من سجن صيدنايا سيّئ الصيت، لم يسمع في مطلع الثورة إلا قليلون بأبي عبد الله الحموي، حسان عبود، وما كان يفعله مع كوكبة من إخوانه آنذاك، بعد اندلاع الثورة الشعبية في سورية بفترة وجيزة، واستمر «العمل الصامت» لفترة طويلة نسبياً قبل أن تصبح حركة أحرار الشام في مقدمة الصفوف الثورية في أنحاء سورية، وليصبح قائدها معروفاً في كل مكان أيضاً، لا سيما عند ظهوره في أول حوار إعلامي شامل عبر فضائية الجزيرة، وسرعان ما ظهرت المعالم الأولى للنهج المتوازن الذي يتبعه مع رفاقه في حركة أحرار الشام، ثم مع من تلاقى معهم في «الجبهة الإسلامية»، وكذلك في إصدار «ميثاق الشرف» لاحقاً. كان العمل دائباً صامتاً هادفاً.. فولدت من خلاله «حركة أحرار الشام»، كبرى الفصائل المسلحة في أرض الثورة، وأكثرها امتداداً، وأرسخها توازناً، وأثبتها على الطريق رغم شدة ما أصابها لاحقاً نتيجة استهدافها مراراً من جانب تنظيم داعش، إلى جانب استهدافها من جانب أتباع الأسد وبقايا نظامه الفاجر. ومما يشهد على عمق رؤية الحركة وقادتها ما ظهر يوم استشهاد كوكبة منهم في التاسع من أيلول / سبتمبر 2014م، فقد رافق استشهادهم ما انتشر من معلومات عن موقع محصنٍ، ليدرك من لم يعلم من قبل، أن من ميزات أحرار الشام اعتمادهم من البداية على الإمكانات الذاتية اعتماداً رئيسياً، ومن ذلك الحرص على «التحرر الواقعي» عبر تصنيع السلاح، والوصول بتطويره إلى مراحل متقدمة، رغم الصعوبات التي تحيط بهم وبعامة الثوار في سورية، ورغم التحرك على ألغام أرضية عدائية، إقليمياً ودولياً.

كثيراً ما تقاس الفصائل الثورية وقادتها – من البشر– على نماذج مثالية، وأحياناً «خيالية»، فيدور الحديث عن السلبيات في الدرجة الأولى، دون مراعاة ظروف نشأة هذه الفصائل والمخاطر المحيطة بمسار الثورة من اللحظة الأولى.. ولا نغفل عن وجود أخطاء، ولكن لا ينبغي للحديث عنها أن يغيّب ما تحقق من إنجازات، والحديث هنا عن أبي عبد الله الحموي رحمه الله وغفر له وأسكنه في الفردوس الأعلى، هو عن نموذج متميز من القادة الثوار، بمناقب من شأن انتشارها أن تضاعف سرعة مسار الثورة نحو النصر، فقد جمع بين قوة العزيمة ودماثة المعشر، وبين النظر الثاقب والسماع لسواه أضعاف ما يتكلم، وبين حنكة القائد في ظروف لا تسهل القيادة فيها، وعدم التشبث بموقعه حال ظهور بوادر لتوحيد القوى الثورية، وبين القدرة على التخطيط والتنفيذ كما يشهد تأسيس الحركة نفسها، والانفتاح على كل مشروع أو فكرة أو اقتراح من شأنه أن يخدم أهداف الثورة، هذا علاوةً على ميزة تحتاج الثورة إليها هذه الأيام حاجةً ماسة، فإلى جانب قوة العقيدة التي تنعكس في واقع حياته، لم يكن يعرف التعصب والتشدد، بل كان حريصاً على الالتقاء مع من قد يرى في صيغة التزامه الإسلامي رأياً آخر. . . ومع كامل الرضى بقضاء الله وقدره، والرجاء أن يكون القادة الراحلون في كنف رضوانه وإحسانه، لا ينبغي التهوين من شأن الخسارة الكبيرة التي صنعتها فاجعة استشهاد عشرات القادة من حركة أحرار الشام دفعةً واحدةً، إنما يظهر للعيان أيضاً مدى تماسك الحركة، وهو ما تعبر عنه سرعة الاتفاق على أن يتولى القيادة هاشم الشيخ خلفاً لحسان عبود، مع زميله أبي صالح قائداً عسكرياً، وهو صانع النصر العسكري في القضاء على معقل أتباع النظام في مطار تفتناز في حينه.. كما يبشر بازدياد قوة الحركة وقدرتها على تحقيق المزيد من الإنجاز مسارعة القيادة الجديدة إلى تأكيد مواصلة الطريق الذي مضت عليه، ولا نقول «دون تغيير» كما يقال عادةً، بل المرجو الإقدام على التغيير المتواصل في اتجاه الأفضل والأقوم، وهذا بالذات ما كان من ميزات حركة أحرار الشام خلال السنوات الماضية، وهو ما ينبغي أن تستمر في الحرص عليه، إلى أن يتحقق تتويج إنجازاتها وإنجازات الثوار الأحرار في سورية بالنصر والتمكين، بإذن الله. والله غالب على أمره وهو خير الحافظين.

أحرار الشام

النَّسيجَ الحيَّ في جسم الإنسان هو الذي يشعر بالألم، ولذلك يجب على مَنْ يشعر بإخوانه ويَأْلَمُ بآلامهم أنْ يَحْمَدَ الله تعالى لأنَّ ضميره حيٌّ كنسيج الجسد الحيّ، فهو نابض بالألم والشعور بالمستضعفين والانتصار لهم، وما شعورُ إخوانِنا من الثوَّار المجاهدين في سوريَّة بهذا الإحساس إلا دليلٌ على أنَّهم همُ الأحياء الحقيقيُّون في زمنٍ بات فيه كلُّ شيءٍ ميتاً أو في حكم الأموات.

إذا أردنا أنْ نَصِفَ سوريَّة بشيء من الإنصاف والحقيقة الجارحة فيمكننا القول إنَّ حقيقتَها من جانبٍ واحدٍ مُرَّةٌ كالسُّمِّ الزُّعاف أو وباء عدم المبالاة لهموم الآخرين الذي أنهكَ جَسَدَ بعض شرائح مجتمعنا الغافل عن معاناة إخوانه، فهناك قومٌ يأكلون ويشربون، يبيعون ويشترون، يمرحون ويضحكون، غير عابئين بكما يكابده إخوانهم من حولهم من الحصار والجوع والقهر والذلُّ وبراميل الطاغية التي تنهار على رؤوس الأبرياء كلَّ حين.

وهناك قومٌ آخرون أحياءٌ في حياتهم، أحياءٌ بعد وفاتهم، مجاهدون في سبيل الله لنصرة إخوانهم المظلومين مِنْ حولهم، لأنَّ نسيجَهم الحيُّ يَأْلَمُ لإخوانهم، ويأبى لهم أن يستلذُّوا بِطَعْمِ الحياةِ وهم يَرَوْنَ إخوانَهم إلى جوارهم في بلدات سوريَّةٍ أخرى طعامُهم القهر وشرابُهم الحرمان، يقتاتون طَعْمَ الموتِ ليلَ نهار، أولئك هم المنتفضون في سبيل الله المجاهدون بأنفسهم إنْ كانوا من أهل الاستطاعة، أو المجاهدون بأموالهم إنْ كانوا من أهل الغنى، أو المجاهدون بكلمة الحقِّ في وجه السُّلطان الجائر إنْ كانوا من العلماء، فَنِعْمَ أولئك القوم، إنَّهم أصحاب النَّسيج الحيِّ في المجتمع الذي تَسَرْطَنَ بفسادِ حكومة البعث التي سيطرَتْ على سوريَّة ما يقرب من نصف قرن من الزمان، فأفسدَتْ إحساسَ الأخِ بأخيه والجارِ بجاره حتَّى باتَ المجتمع السُّوريُّ مبتلى بأخلاق الأنانية الفاسدة بدلاً من الإيثار على النفس الذي كان شائعاً في أخلاق الشاميِّين قبل أن تُشيْعَ حكومة البعثِ فيهمُ الفسادَ، وكما أنَّ الله عزَّ وجلَّ سَخَّرَ بعضَ عبادِ الله للجهاد في سبيل الله، كذلك تركَ آخرين في لَهْوِهِمْ ولَعِبِهِمْ لأنَّهم غافلون ﴿ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾.

منَ الأمثلة الحيَّة على أصحاب الضَّمير الحيِّ بالإيمان والإحساس بآلام المستضعفين منَ الأمَّة كلُّ أولئك المجاهدين الذين خرجوا لنصرة إخوانهم المظلومين، ومنهم رجالُ لواء أحرار الشَّام الذين قدَّموا خيرةَ رجالهم شهداء في سبيل الله، فما زادَهُمْ ذلك إلا إصرارا على الجهاد والعمل بقوَّةٍ وصبرٍ، فَنَعَوا شهداءهم في خطابٍ مقتضب قصيرٍ محتسبين الله في ذلك المصاب الجلل، ثم هَبُّوا إلى العمل، فرصُّوا الصفوف تحت قيادة واحدة، واختاروا منهم رجالاً آخرين يقودون المعارك على الجبهات، وأطلقوا مبادرة (واعتصموا) نَعَمْ، **إنَّ شجرة الحقِّ لا تموت يُنْميها الله بالأبدالِ كلَّ حين**، مَثَلُها كَمَثَلِ شجرةٍ طيِّبةٍ، ثابتةِ الأصلِ، مُتَجَدِّدَةِ الفروع، **وللشَّام منَ الأبدال رجالٌ** ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾. لله درُّكم يا قادة أحرار الشام.

أَجَلْ، هذه هي المبادرة العظيمة الجديرة بالعناية (**واعتصموا**) ليس مبادرة الخزي والكذب (**سوا**) ولا مبادرة التخاذل (**كفى**) وإنَّ كتائب الجيش الحرِّ بكلِّ تشكيلاتها يجب أنْ تتَّخذ هذه المبادرة شعاراً لها، ذلك أنَّ يدَ الله مع الجماعة إنْ كانَتْ على الحقِّ، فإنْ تفرَّقَتْ وبقيَتْ على الحقّ تأخَّر النَّصر، بمقدار التأخُّر عن وحدة الصَّفِّ، إنَّ الله لا يقبل الصلاة في الصفِّ الذي لا يتراصُّ فيه المصَلُّون، كذلك الجهاد في سبيل الله لا يكون جهاداً مثمراً بالنَّصر حتى تتراصَّ فيه الصفوف، وإنَّ الله يكره أن يرى عباده قد اجتمعوا على الحقِّ وكلمتهم ليست سواءً بينهم، ولذلك قال تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ثمَّ أتبعَ الله تعالى هذه الآية بضرورة التَّناصح بين المؤمنين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن ذلكَ منَ مستلزمات النَّصر ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

وإنَّ تجربة حركة أحرار الشَّام في نهوضها السَّريع من محنتها والتفافها حول قيادة واحدة لدليل على صِحَّة نَهْجِها وصدق عزيمتها، وبحسب مبادرة (**واعتصموا**) التي أعلنَتْها قيادةُ حركة أحرار الشام يجري توحيد الصفوف ورصّها في جبهة واحدة

وفاءً لدماء شهداء أحرار الشام، وتنفيذاً للمشروع الذي بدأه قائد أحرار الشام أبو عبد الله حسان عبود رحمه الله وقضى شهيداً من دونه قبلَ الإعلان عنه، وأرى أنَّ استهداف حركة أحرار الشام ما كان إلا لتقويض ذلك المشروع الذي كان قد بدأه قائد الحركة تغمَّده الله برحمته، وإنَّ هذه المبادرة في توحيد الصفوف في قيادة واحدة للثورة كان قد طرحها عددٌ من رجال العلم المخلصين

لتوحيد الفصائل والخروج بقيادة واحدة، وقد توالى الموقِّعون عليها من الألوية والفصائل الثَّوريَّة في الدَّاخل، حتَّى بلغ ذلك سبعة وأربعين فصيلاً من المجاهدين وكان من أبرزهم الجبهة الإسلامية التي نشأت قبل ذلك من اتحاد جملة من الفصائل المجاهدة بعد استشهاد الشيخ عبد القادر صالح قائد لواء التوحيد، وجاء توحيد تلك الفصائل حينئذٍ في مُسمَّى (الجبهة الإسلامية) وفاءً لدم الشهيد عبد القادر رحمه الله.

إنَّ أنجع الوسائل للانتصار على عدوِّنا تكون بجملة شروط هي: الاعتصام بحبل الله، ووحدة الكلمة والصفِّ، والحرص على الكتمان، واصطفاء العناصر الثقات للعمل الثوري من أهل الدين والتقوى، بعد ذلك كلِّه يكفي قليل العتاد لبلوغ النَّصر، لأنَّ العتاد الحقيقيَّ هو عتاد النفوس الزكية الطاهرة المخلصة التي اجتمعَتْ سواءً على كلمة الحقِّ من غير صَدْعٍ لكلمة الجماعة، يعذر بعضُهم بعضاً متحابِّينَ في الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾.

بعد الحريري والسادات (بشار الأسد) هل يغتاله معارضوه؟

ل.ن

رغم أن عملية الاغتيال، تستهدف عادةً شخصاً واحداً لكن أثرها لا يقل معظم الأحيان، عن أثر حربٍ أو زلزالٍ أو كارثةٍ حقيقيةٍ، فالهدف لا شك شخصية ذات موقع أو فكر معين، تشترك عدة شخصياتٍ أو جهاتٍ في التخطيط لاستهدافها، لاحقاً لا يغدو اكتشاف المجرم أو تجريمه، ذو أهمية، لا سيما حين ينشغل الجميع، بالتغيير الحاصل.

وفي عالمنا العربي، يعتبر اغتيال الرئيس المصري السادات أثناء الاحتفال بذكرى حرب 6 أكتوبر عام 1981، الحالة الأبرز، حتى أنه يصلح كمشهدٍ سينمائي، ولا يقل اغتيال الرئيسين اللبنانيين رينيه معوض وبشير الجميل، أهميةً، كذلك اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، بعد سياسة مقاطعة تصدير البترول التي انتهجها في بداية السبعينيات بعد حرب أكتوبر.

ولا يقتصر الاغتيال على الرؤساء فقط، بل يتعداهم إلى شخصياتٍ عدة سياسية وعسكرية واجتماعية وعلمية، منها اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، وبالطبع لا تنجح محاولات الاغتيال دائماً، وإن كان هذا نادراً، وكان آخر الناجين الرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح.

في الأزمة السورية، تعددت محاولات الاغتيال، بين الطرفين، حتى أنها طالت شخصياتٍ ليست ذات أهمية كبيرة أحياناً، ولم يكن المنفذون أكثر من مجموعاتٍ بسيطة، وبدل أن يكون لها أثرٌ واضح كالعملية التي استهدفت ما كان يعرف بخلية الأزمة، قبل عامين تقريباً، باتت جزءاً من حالة الاقتتال العامة، إذ يمكن ببساطة وضع عبوةٍ ناسفة في سيارة أحدهم للشك بأنه معارض أو عوايني مثلاً.

والسؤال يطرح نفسه: هل يمكن أن ينتهي بشار الأسد بعملية اغتيالٍ مثلاً؟

حقيقةً، لربما كانت الإجابة بنعم، أمنيةً لكثيرٍ من السوريين، قبل هذه الفترة، فلم يعد خافياً، أن الأسد محاطٌ بثلةٍ من العبيد، ولكن من يدري، ربما يكون اغتياله خطةً طويلة الأمد، يلزمها صبرٌ أطول مما نعتقد، وذكاءٌ أكبر مما نظن، وإلى أن يتم ذلك، ننصح الجميع بالانتباه كي لا يكونوا ضحيةً ساذجةً لعبوةٍ ناسفة أو رصاصةٍ طائشة أو سيارةٍ مفخخة، بالطبع لا يمكن ذلك إلا بالدعاء والتمني، فالسوريون جميعاً باتوا عرضةً للاغتيال، في منازلهم أو أماكن عملهم، في البحار أو على الحدود، وذلك لن يصنع منا أشخاصاً ذوي أهمية كضحايا الاغتيال من رؤساء، لكنه سيلغي بالمقابل إنسانية القاتل.

للأمانة، الاغتيال في وجهٍ من وجوهه، حالة غدرٍ أو طعنٍ في الظهر، لذا ننصح الجميع بالمواجهة، واجهوا مخاوفكم وأعداءكم، ولا تسمحوا للمجرم بارتداء ثوب الضحية.

عن جد « وينن »

لقد ماتوا جميعاً، وما عادوا موجودين، قد يكون هذا هو الجواب المنطقي للسؤال المطروح من قبل بعض مؤيدي النظام عبر حملتهم الافتراضية الأخيرة ''وينن''..يفترض بعض المتابعين للشأن السوري مؤخراً، تأسيساً على حملتي ''الكرسي إلك والتابوت لأولادنا'' و''وينن'' الفيسبوكيتين، بأن هزةً أصابت وجدان وضمائر المؤيدين ـ أو بعض قطاعاتهم على الأقل ـ أدت إلى انزياحٍ أو تبدل أهواءهم وتوجهاتهم، بشكلٍ ربما سيفضي لاحقاً إلى تغيير اصطفافهم السياسي، أو تفكيك تمترسهم الطائفي، الأمر الذي سيدفعهم للانفضاض عن النظام، والتخلي عنه، ويستبشر بعضهم أيضاً، بأن تلك التغييرات والتبدلات الطارئة على المزاج العام للمؤيدين، والمعبر عنها في المجال الافتراضي من خلال بعض الصفحات المستحدثة، وعبر تلك الحملات وأشباهها، أنها تؤشر لبدايات حركة تمرد ضد النظام، من قبل مؤيديه، ولا سيما من قبل العلويين، الذين فقدوا الآلاف من شبابهم، وأبنائهم خلال السنوات الثلاث الماضية. لكن، الحقيقة إن ذلك الافتراض ليس له أي أساسٍ واقعيٍ يدعمه، أو يسنده، فالمزاج العام للمؤيدين لم يطرأ عليه في الواقع أي تغييرٍ، أو تعديلٍ حقيقي، ولا يمكن بأي حالٍ الركون إلى معطيات العالم الافتراضي لتقرير حدوث مثل تلك التغيرات، في الوقت الذي يقدم الواقع اليومي أدلةً تثبت عكسها، ذلك أن رواد العالم الافتراضي وفاعلوه لا يعبرون عن آراء وتطلعات فئات تقع خارج حدود ذلك العالم، ممن لا يتيسر لهم الوصول إلى جنباته، لأسبابٍ تقنية، أو لعدم اقتناعهم بجدوى النشاط والتفاعل الالكتروني أساساً، ولذلك فإنهم وبالدرجة الأولى إنما يعبرون عن أرائهم، وتطلعاتهم، وميولهم الشخصية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فلو سلمنا بإمكانية أن يكون أولئك ''الناشطون'' وغالبيتهم من المؤيدين، ومن خلال صفحاتهم، وحملاتهم يعبرون عن رأي عام ـ جزئي بطبيعة الحال ـ، لا عن مجرد آراءٍ فردية، أو أحاديث شخصيةٍ، فإن تفسير تلك النشاطات الافتراضية على أنها بداية تمردٍ، أو انتفاضٍ على النظام، أو على سياساته وخياراته الأمنية، والعسكرية، تحمل مقداراً من الجهل، وسوء الفهم، أو مقداراً من التوهم، والتمني في أحسن الأحوال. والأرجح أن ذلك التمرد إن وُجد حقاً، فهو في حقيقته انزعاجٌ مبررٌ من أداء النظام الضعيف، وتململٌ متوقعٌ من الهزائم، والانتكاسات التي مني بها مؤخراً، على أيدي تنظيم الدولة الإسلامية ''داعش''، وهي لا تشكل أساساً لحركة تمرد على النظام، أو على سياساته، أو على سلوكه، أو ضد وجوده، وإن تميزت بنبراتٍ حادةٍ، وحتى لو تناولت رأس النظام شخصياً، كما هو الحال في حملة ''الكرسي إلك والتوابيت لولادنا''، فالالتحام العضوي والتشابك بين النظام، والمؤيدين لا يزال متيناً، والروابط فيما بينهم لا زالت تتمتع بالشدة، والتعقيد بما لا يمكن لمجزرةٍ، أو هزيمةٍ عسكريةٍ أو أكثر، أن تؤدي إلى تداعيها، أو تفككها بتلك الصورة السريعة المتخيلة، هذا من ناحية أولى، وأما ''التطاول'' و''التجرؤ'' على شخص «بشار الأسد»، وتناوله بالنقد، فهذا أيضاً لا يُعد مؤشراً على ثورة، أو انقلاب في المفاهيم، أو تبدل في القناعات والخيارات السياسية، فهو ليس بالأمر الجديد على المؤيدين ـ على عكس ما يعتقد البعض ـ ففي مرحلة الثورة السلمية منتصف آذار (2011)، وحتى ربيع – صيف (2012)، وعندما كانت المظاهرات تعم البلاد، خرج المؤيدون بمسيراتهم ''العفوية''، وكان لافتاً في بعض تلك المسيرات، وخصوصاً في المرحلة التي شهدت تراجعاً كبيراً للنظام، أن يظهر هتافٌ يقول: ''بشار للعيادة وماهر للقيادة''. وواضح ما تضمنه ذلك الهتاف من تطاول وتجرؤ على شخص «بشار الأسد»، ومن تشكيك بقدراته، وكفاءته للقيادة والحكم، فضلاً عما أظهره أيضاً من انعدام إيمان المؤيدين، أو اكتفائهم بمقدار العنف، والبطش، والإرهاب الممارس من الأجهزة الأمنية، والعسكرية التابعة له، فكانت مطالبتهم صريحةً بعزله، وتولية شقيقه «ماهر الأسد» وهو المعروف في أوساطهم على أنه ضابطٌ مجرمٌ، وبالتالي سيكون أقدر ـ حسب اعتقادهم أو تمنياتهم ـ على قمع الثورة، وقتل المتظاهرين. وفي المرحلة المسلحة، وعندما كانت قوات النظام تجتاح المدن والبلدات، وتُعمل في المواطنين قتلاً، وذبحاً، وتعذيباً، واعتقالاً، كانت تترك على الحيطان والجدر شعاراً يقول: ''حاربوك ونسيو مين أبوك''، وإذ يحيل هذا الشعار إلى زمن ''الأب'' المشهود له بالمكر، والخبث، والإجرام، والذي تميز حكمه بالعنف، والإرهاب، ويوحي بأن القتلة الحاليون، هم امتدادات لأشباح مجرمي عصر «حافظ»، فإنه يفيد أيضاً الاستنتاج بالمفهوم المخالف، أن «بشار» لا يشبه أباه، ولا يُعد تبعاً لذلك مؤهلاً ليكون خليفته، فالنظام، و«بشار»، والقتل موجودون بفضل «حافظ»، حتى وإن كان ميتاً، الشعاران السابقان فيهما تطاولٌ، وتجرؤٌ على رأس النظام، واستعارة بديلٍ حيٍ مرةً، وسلف ميت تارةً أخرى، عدا عن أنها تنال من الخلف وتهينه، إلا أنها تكشف أيضاً طبيعة

تعقيد، وعمق الاصطفاف السياسي والطائفي للمؤيدين، ولذلك من المستبعد أن تكون ردات الفعل ''الافتراضية'' الأخيرة دليلاً على تغير موقفهم، أو مراجعة خياراتهم. وأكثر من ذلك، فإنه من غير المرجح في الوقت الذي يظهر فيه طرفٌ معادٍ للنظام، وهو ''داعش''، مستويات غير مسبوقة من العنف، والتطرف، أن تكون الاستجابات النفسية، والسياسية للمؤيدين، معاكسةً، بحيث تتجه إلى تخليهم عن موقفهم السياسي، وتراجعهم عن تأييد نظامهم، المستهدف من قبل ''داعش''. يُحتمل أن يكون المؤيدون قد شعروا بالخذلان، أو هالهم الرعب الذي أظهرته ''داعش''، أو لم ترقهم مناورة النظام الذي ضحى بأبنائهم، طمعاً بتجديد تفويضه الدولي كقوة مقبولة لمكافحة الإرهاب، لكن هذا لا يعني أن المؤيدين قد وصلوا إلى قناعةٍ بضرورة التخلي عنه، فأوهام المؤامرة، وأحلام الانتصار لا زالت تسكن مخيلتهم، وتحكم سلوكهم، وردات فعلهم... سؤال ''وينن'' لا بد منه، لكن الأولى أن نسأل به عن الأحياء، لا عن الأموات والمفقودين، وطالما بقي المؤيدون على مواقفهم، وتعامى المعارضون عن الحقائق، وحضرت الأوهام والسرديات، وغابت لغة العقل، والمنطق، والواقع، ولم تتوفر آليات الحوار، والتفاوض للوصول إلى الجوامع، والمشتركات، بعيداً عن المطالبة بالتطمينات، أو السعي لتأبيد الامتيازات، فإن أحداً لن يبق بعدها ليسأل، ولن يعرف أحدٌ..''وينن''.

محاولة تلمس نقطة مبهمة معينة
(طبيعية الحدوث) في المجتمع السوري

شام صافي

في داخل كل بيت آلام لا تحصى في بعض الحالات، القهر والحرمان مذهلٌ فيها، أحياناً تقف أمام ذلك مشدوهاً لا تعرف ما تقوله وأنت عاجزٌ عن فعل أي شيء، لا تملك أن تقدم أمام هذا الكم الهائل من المحن إلا الصمت والإطراق بعينٍ خجلة تدعو الله تعالى وصاحبك صاحب المصيبة يستحثك لهذا ويلح عليك في الطلب من الله .. إيمانٌ بأن الضيق لن يفكه إلا رب العباد عندما تعجز عن تقديم أي شيء إلا زرع ابتسامةٍ باردةٍ في وجوه من تلتقيهم .. آآآآه كم تقولها بحرقة مريرة .. كم من المصائب تحملوا حينما كانوا أعز الناس وجار عليهم الزمن فسلبهم الكثير مما كانوا يعيشون فيه وكأن هذه الدنيا غدارة متقلبة تدفعك غصباً لليقين بأن ربك هو وحده الباقي ولا أمان –مهما كان– في غيره. من يطلب اليوم هم من كانوا يعطون وكانوا يستغنون، ولكنهم اليوم محتاجون حاجةً أليمة، طلباتهم بعزة (ولكنها مهما كانت فإنها طلباتٌ من بشرٍ مثلهم). تلك كان لها منصبٌ وظيفي مرموق .. وهؤلاء كان عندهم أملاكٌ كثيرة تغنيهم لأولاد أولاد أولادهم،، هؤلاء ممن تقف بينهم اليوم لتتفكر في حجم الكوارث التي حلت بالبشر وبأنفسهم الجريحة بعمق والمحروقة بألم رهيب لا يكاد يتصور. الابتذال في معاملة الناس كبشر وعدم تكريمهم وحفظهم وحفظ مشاعرهم وكرامتهم بات ظاهرةً لا تخفى على أحد، الإنسان حال إلى مرتبة متدنية بالقيمة أولاً من قبل حكامه ودولته وتوجهاتها وتوجيهاتها التي تستخف بالبشر يتبعها طاعة وتسليم من الأفراد المنهكين والمستسلمين لهذا، على الرغم من أنه لازالت هناك حالات وأنوية من البقاء للوجود البشري يحافظ عليها بعض من يتمنعون عن هذا الطوفان اللاأخلاقي بحق الإنسان السوري في سورية. سقطت الإنسانية العالمية في الوحل مع الثورة السورية الأبية المقهورة، القتل والألم المزمن بالمئات وبشتى أنواع وأشكال الموت وطرائقه تجعل منه سيد الموقف وتجعل منه السيد القبيح في زمن الصمت وقهر الإنسان أخو الإنسان. ترى ما الذي سيلملم شتات العائلات ومن سيشفي جراح ذل وقهر استمد من أعمارهم عمراً مديداً وليس لحظات، سرق منهم شيئاً عزيزاً لا ندري ما مخلفاته المستقبلية وكيف ستكون في تمازجها مع منظومتهم القيمية في ظل الإيمان الفطري المعتدل والمتزن كما عرف عنهم. في وطني وفي كل بيت آلام لا تحصى وجراح لا يمكن أن تعدد، كل شيء موجود أصبحت الدنيا خليطاً من أفراد تفرزهم الشدائد والظروف إلى أشكال لا متناهية من المنظومات الأخلاقية والقيمية، ربما أصبح كل فرد محكوماً بمنظومة خاصة تقودها ظروفه الفردية. لا تنطبق قاعدة على أحد ولا يمكن لأحد أن يصيغ منظومة وحدوداً وخطوطاً إلا أن تكون عامة جداً وحتماً فيها حرج على الكثيرين .. لأن وضع أي قانون ومنظومة لا يراعي الحالات الاستثنائية التي لا يمكن أن تلمها قاعدة ..فعادة ما تكون القاعدة العامة كذا ويستثنى منها حالات خاصة استثنائية، ولكن عندما تصبح الحالات الاستثنائية هي الحالة العامة فما الذي يلملم الحالات الاستثنائية في قاعدة إلا "عدم وجود قاعدة".

الشهيد «موفق غزال»

لا يحمل إلا هم أسرته ومتابعة العمل لتأمين معيشتها اليومية في ظل الظروف المالية الصعبة، مثل الكثيرين اليوم، لكن في عالمٍ يحاصره مجرمو الأسد تصبح خياراتك صعبة، فأنت إما معهم أو ضدهم، بالتالي أنت تحت رحمة الإجرام، ومهما حاولت أن تنأى بنفسك جانباً بقيت تحت مرمى نيران الغدر، فقط لأنك " مدني" أو ربما لأنك من هذه لمدينة أو تلك، بل وحتى وسيلةً للتسلية لمجرمٍ همه أن يصب حقده وطائفيته على الناس أياً كانوا بلا رحمةٍ ولا شفقة، وحشية النظام وأسلوبه الإجرامي في التعامل مع المدنيين كان كتعامله مع المسلحين بل ربما أكثر بطشاً وشدة، فهو لم يفرق في استخدام القوة المفرطة بين أحد منهم، ولم يعرف أذنابه وشبيحته شيئاً يسمى بالوقوف على الحياد، ولم تفرق رصاصاتهم وأدوات إجرامهم بين أحد.

يبدو أن النظام قرر من اليوم الأول للثورة ترويع الناس، دون أن يتورع عن قتل من لم يشاركوا، بل اختارهم القدر ليكونوا تحت عين مجرميه.

" موفق غزال "، أحد هؤلاء الذين ابتعدوا عن الأحداث الجارية في المدينة، واختار أن يسعى خلف لقمة عيشه ورزق أولاده، فهو كما يقولون: ((لا ناقة لنا ولا جمل مما يحدث))، تلك المقولة التي ظهر عكسها وثبت ذلك يوماً بعد يوم، وشاءت إرادة الله تعالى أن يكون الشاب أحد من طالتهم رصاص قناص الغدر الذي يأبى إلا أن يستهدف المدنيين في رسالة حاقدة وواضحة يعلنها اتجاه أبناء المدينة، الذين يعتبرهم النظام بيئةً حاضنةً للإرهاب، إذ إنها لم ترفض تواجد المسلحين بحسب ما يدعي النظام.

19/3/2014 كان تاريخ المجزرة وبعد الغارة الجوية بدأ القناص يستهدف كل حركة في الشارع وبصورةٍ عشوائية همه أن يحصد ما استطاع من الأرواح ويزرع الخوف في قلوب أبناء المدينة.

يبدو أن " موفق" قاد سيارته في الزمان والمكان الغير مناسبين، مروره تزامن مع تلك الهجمة العشوائية، لينال نصيبه وترديه الرصاصة شهيداً مضرجاً وجهه وجسده بالدماء، بعد أن انحرفت به سيارته.

من عرف " موفق " رأى في وجهه ابتسامةً وطيبة ابن البلد بصدقها وفطرتها، لين المعشر، حديثه ممتعٌ وينم عن بساطته رحمه الله تعالى.

التجربة تقول: إن يد الإجرام لن تزداد إلا غياً، ولا مبرر اليوم للابتعاد عن هذا الواقع الذي فرضه الأسد.

رحم الله الشاب " موفق غزال " ونسأله تعالى أن يكتبه من الشهداء إنه على ذلك قدير.

شهداؤنا في الذاكرة دوماً ..لن ننساكم حتى نلحق بكم .